المصطلح العلمي من الموروث العربي
مقاربة لغوية حضارية

أ.م. فائق خلف سلمان

جامعة سامراء / كلية التربية

المقدمة :

بسم الله والصلاة على رسول الله ﷺ ، وبعد :

إذا كان لنا أن ندرس المصطلح في التراث اللغوي العربي فعلينا أن ندرسه درساً تاريخياً نستجلي أصوله وقواعد دلالته ، والتي نبين فيه المواجهة للعصور والحضارات ، وهذا يلزمنا أن نفهم تطور اللغة وكيف اتسعت تلك العربية السامية الصحراوية لحياة أخرى فشملت عوالم وتقبلتها امم شتى فكانت لغة الحضارة العريقة ولغة العلم فاتخذها العربي القديم عنوان حضارة يتقدم بها إلى شعوب تواقه إليها محتاجة أشد الاحتياج . واتخذها غير العربي مسلماً كان ام غير مسلم لغة العلم ولغة للتطلع إلى المستقبل فكتب بها وصنف وباشرها سلوكا وحياة .١

وتوالت العصور السياسية على الأمة العربية والإسلامية ولم تنل منها عهود الانحطاط كثيرًا وظلت تواكب العصور مرة وتظهر عليها بعض التغيرات مرة أخرى وكذلك ظاهر في استخدامات المصطلحات المتنوعة منها العلمية والسياسية والاجتماعية . والذي جَدَّ على اللغة العربية مع العصر الإسلامي الأول جدَّ كثير في مجالات المصطلح من خلال نشأة علوم كثيرة مثل التفسير والحديث والمنطق والفلسفة والكيمياء والجغرافية والطب والهندسة وما إلى ذلك من علوم كثيرة .

وهذه العلوم كلها لاشك دخلت إلى اللغة العربية بمصطلحات جديدة ، إما ابتداعاً وإما نقلاً عن لغات أخرى واستعملتها اللغة العربية إما من طريق التعريب أي تقريبها إلى

الوزن الصرفي العربي ، وإما باستعمال مباشر وتكسبها اسماً بالمصطلحات الدخيلة ومن هنا علينا أن ننظر حضارياً أن لغة الحضارة الحديثة هي (الانكَليزية) في المقام الأول قد غلبت على وجود اللغة العربية في مجال العلوم ، داخل الوطن العربي ، ثم إنَّ طوفاناً من الألفاظ الجديدة يتدفق كل يوم على هذه اللغة ، ويراد منها أن تستوعبه . وهذه مشكلة تطرح علينا دائما إضعاف سيطرتها على مجالاتها الحضارية ثم الانحسار على الرغم من محاولاتها المستمرة من أجل بقائها ، لغة العلم والأدب والدين، وشأن الباحث للجواب عن هذه الأسئلة شأن البناء، رأيناه قبل أن يشيد بناءه ، وهو يسبر التربة التي سيبني عليها ، ويرسم الأسس كذلك أن الرأي الصواب في نظرنا أنه من المحتم على الباحث ، بادئ ذي بدء أن يتصفح المؤلفات العلمية السابقة ، وأن يستخرج منها معجماً مضبوطاً للألفاظ المستعملة عند العلماء العرب ، ومن ذلك يمكنه أن يفكر في كيفية النظر في نواحي الماضي اللغوي الخاص باستعمال اللغة في التعبير العلمي والاجتماعي ، فضلاً عن علاقة اللغة باللغات الأخرى ، وبيان طرائق التأثير والتأثر ، وطرائق تقارض الألفاظ بين اللغة العربية واللغات الأخرى ولا سيما المصطلح العلمي المركب ، لأن دخوله في المعجمات العربية قليل ، واستعمالاته للعلوم البحتة كثير ، وقد نجد أن اللغة وارتقاءها مبنيان على مقدار نصيب أهلها من الرقي والتمدن ، وكلما ارتقت الامة كثرت حاجاتها بالطبع فاتسعت لغتها باتساع الحاجات . وتقوم الدراسة في هذا البحث على مبدأ المنهج الوصفي في البحث اللغوي في إطارها العام . وقد أمكن تصنيف البحث إلى خمسة مباحث وخاتمة وهي :

المبحث الأول : اللغة العربية والمؤلفات العلمية والتراثية .

المبحث الثاني : اللغة العربية وتعريف المصطلح العلمي .

المبحث الثالث : المصطلح العلمي المركب .

المبحث الرابع : العربية ولغات الحضارة أخذ وعطاء أم تأثر وتأثير .

المبحث الخامس : التدابير اللازمة للانتشار .

المبحث الأول

اللغة العربية والمؤلفات العلمية والتراثية

وصف هذا البحث حالة اللغة العربية، وهي تؤدي الأغراض المدنية الحديثة ، التي غرقت فيها الشعوب العربية منذ القرن التاسع عشر[١] ، ونود تلخيص بعض الآراء في اللغة العربية ، وكيف استوعبت العلوم في بداءة تاريخ الحضارة الإسلامية ونشأتها ، ونود الإشارة إلى ما في هذه الآراء من توجيه وتذكرة إلى من يقوم بعملية الاستعمال لا الإهمال ، لكي تؤدي اللغة العربية الأغراض المدنية ، ونبدأ في إتهام قصور اللغة العربية عن النواحي العلمية بما يأتي :

قال بعض المغرضين : ((إن اللغة العربية هي لغة الأدب والدين ، وإنها لا تصلح للتعبير عن العلم ، وإنها منكمشة في بطون المعاجم)). وقد قام بالرد على ذلك الباحثون من العرب ولاسيما المصريين بإعداد الرسائل العلمية والإشراف عليها، وتتضمن إظهار اللغة العلمية بإعداد معاجم طبية، وكيميائية، ودوائية، وفيزيائية، ودراسات لغوية، تبين أصل المصطلح العربي والمعرب والدخيل منه ، وقد أظهرت هذه الرسائل العلمية أن اللغة العربية استقبلت هذه العلوم الوافدة عليها ، وطوعت مصطلحاتها بشكل يتناسب مع قوانين اللغة العربية ومن هذه الرسائل :

١. الألفاظ العلمية عند جابر بن حيان الكوفي (ت ٢٠٠هـ) دراسة لغوية ومعجم – رسالة ماجستير – إعداد الطالب فائق خلف سلمان – بإشراف الأستاذ الدكتور : عبد الصبور شاهين – القاهرة – ١٩٨٦ م .

٢. قضية المصطلحات المعربة في مؤلفات حنين بن اسحاق (١٩٤ – ٢٦٤هـ) – رسالة دكتوراه – إعداد الطالب : مصطفى إبراهيم علي – بإشراف الأستاذ الدكتور : محمود فهمي حجازي – ١٩٨٤ م .

وقد بدأ قسم اللغة العربية في جامعة سامراء تكملة المسيرة في إظهار التراث العلمي العربي بإعداد رسائل جامعية تبين استعمال اللغة العربية للمصطلح العلمي وتلك الرسائل هي :

١. ألفاظ الأدوية في كتاب القانون لابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) . اعداد (فاضل محمد فاضل) بإشراف الاستاذ المساعد (فائق خلف سلمان)، ١٣

٢. الالفاظ النباتية في كتاب الصيدنة للبيروني (ت ٤٤٠ هـ) اعداد الطالب (علي عباس عبد الله) بإشراف الاستاذ المساعد (فائق خلف سلمان) دراسة صرفية ودلالية ومعجم ٢٠١٤ .

٣. ألفاظ الأمراض وأدويتها كتاب مفردات (ابن البيطار ت ٦٤٦ هـ) دراسة صرفية ودلالية إعداد (سرى مؤيد عبد الوهاب) بإشراف الدكتور (كمال حسين أحمد) ٢٠١٥ .

وتعد تلك الرسائل الجامعية التي ذكرناها عينات رائعة في تحديد المدى الحضاري الذي بلغته اللغة العربية ، طوال حقبة الحضارة الإسلامية في التعبير عن المصطلح

العلمي العربي المفرد من دون المركب ، والأمثلة كثيرة على ذلك في مختلف العلوم والفنون ، وفيما يأتي أمثلة مختصرة لذلك :

أولاً : مصطلحات عربية الأصل[٢]:

الكِحالة ، والصيدلة ، والتشريح ، والجراحة ، والتوليد .

ومنها ما يختص باصطلاحات كل فن كأسماء : الرطوبات ، والأمزجة ، والأخلاط ، من الحار والبارد ، والجاف واليابس ، والسوداء والصفراء ، والبلغم والنبض ، والتخمة والهضم ، والبحران والمشاركات .

وأسماء الأدوية : كالمسخنات ، والمبردات ، والنطولات ، والمخدرات ، والاستفراغات ، والسعوطات ، والادهان ، والمراهم ، والاطلية . وأفعال تلك الأدوية مثل : ملطف ، ومحلل ، ومنضج ، ومخشن ، وهاضم ، وكاسر الرياح ، ومخمر ، ومحكك ، ومقرح ، ولاذع ، وقابض ، وغير ذلك .

ومن الألفاظ الجراحية : الفسخ ، والهتك ، والخلع ، والفتق ، فضلاً عن أسماء الأمراض الكثيرة ومنها : الصداع ، والكابوس ، واللقوة ، والسرطان ، والهيضة ، والخفقان ، والخانوق . . . الخ .

ثانياً : الألفاظ الكيميائية والدوائية[٣] :

- المصطلحات الدالة على عمليات كيميائية : ازدواج ، واستحالة ، وتحليل ، وتدبير ، وتسقِية ، وتشوِيَة ، وتشمِيع ، وتصعِيد ، وغَسل ، وفَصل ، وامتِزاج ، وإحرَاق ، وذكاء . . . الخ .

- المصطلحات الدالة على آلات كيميائية: برمَة، وصَلاية ، وقابِلة ، وقارُورة ، وقِدر ، وقَدح ، وقَرعة ، وقِنينة ، وكُور .
- المصطلحات الدالة على مواد كيميائية: آبق، وأثمد ، وأزد ، وتبر، وجزع، ودهن، وذهب ، ورصاص ، ورماد، وقمر، وشبوب، وسحالة... الخ .
- المصطلحات الدالة على أدوية نباتية: اذخر، وبان ، وبصل ، وتين ، وثوم ، وجرجير، وحرمل ، وحنطة ، وحنظل ، ولبوب ، ونعناع ، وخروب...الخ .
- المصطلحات الدالة على أدوية حيوانية : أنفحة، وذرايح، وضفدع ، ولجات .
- المصطلحات الدالة على أدوية معدنية : أنظر المصطلحات الدالة على مواد كيميائية .

ثالثاً : المصطلحات الفيزيائية والرياضية[٤] :

- المصطلحات الدالة على آلات البصر : العنبية ، والعنكبوتية ، والجليدية ، والحاس ، والزجاجية ، والملتحمة .
- المصطلحات تدل على وصل الشيء بغيره : اتصال ، وتفرق ، وتماس ، وترتيب .
- المصطلحات تدل على المسافة مثل : البعد، والقرب .
- المصطلحات تدل على أماكن تجارب الضوء : الفرق ، والفرجة ، والكوة .
- المصطلحات تدل على مسارات الخطوط الضوئية والأشعة.
- المصطلحات تدل على قلة الأضواء: إظلال، وإظلام ، والظل ، و الكسوف .

- المصطلحات تدل على مسارات النجوم : الأفق ، والآفاق .
- المصطلحات تدل على اللون : أرجوائي ، وكحلي ، والحمرتين ، وخضرة .
- المصطلحات تدل على الصغر في الحجم : جزازات ، وجزء .
- المصطلحات تدل على أشكال هندسية : تثليث ، وتربيع ، ووضع ، وتقعير ، وعظيم ، وعمق .
- المصطلحات تدل على آلات : شهر، ومكوك، وخلالة ، وشاقول ، ودوامة .
- المصطلحات تدل على الهواء وما يحمله من عكورة : دخان ، وضباب ، وهواء ، وقتام .

المبحث الثاني

اللغة العربية وتعريف المصطلح العلمي

ينبغي على اللغة العربية أن تنتشر ولا تنحسر ، ولا يتم هذا إلا بالمصطلح العلمي الذي هو أداة للتعبير العلمي عن اللغة العربية ، ويكون ذلك بما يأتي :

إذا أفردنا كلمة (المصطلح)[٥] من دون الوصف في اللغة العربية من مشتقات الفعل (صلح) ، فمصدر (اصطلح) : (الاصطلاح) ، و(المصطلح) هو : ما تعارف عليه العلماء في علم من العلوم أو فن من الفنون ، وهو : عبارة عن اتفاق القوم والتصالح على وضع الكلمة بمعنى مراد منه [٦]. ولا بدَّ في كل مصطلح تجاوز المعنى اللغوي والخارج منه إلى معنى خاص ليكون مصطلحاً ، وإلا بقى معنى لغوياً عاماً غير خاص بعلم ، والمسوغ عادة لنقل اللفظ من معناه اللغوي إلى معناه الاصطلاحي ، وجود مناسبة بينهما ويعزز هذا القول أيضاً ما جاء به ابن فارس في كتابه (الصاحبي) قال : كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم ، ولما جاء الإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور ونقلت لغة الألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى ، بزيادة زيادات وشرائع، وشرائط شرطت ، فعفا الآخر الأول وشغل القوم بعد المناورات والتجاوزات ، وتطلب الارباح والكدح للمعاش في رحلة الشتاء والصيف ، وبعد الاغرام بالصيد ، والمعاقرة والمياسرة بتلاوة الكتاب العزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

تنزيل من حكيم حميد ، وبالتفقه بدين الله ﷻ وحفظ سنة الرسول ﷺ مع اجتهادهم في مجاهدة أعداء الإسلام ، وبعد أن يقرر ابن فارس أن ألفاظاً

نقلت من مواضع إلى مواضع أخرى ، بدأ يمثل لتشمل هذه الألفاظ فقال : (فكان مما جاء الإسلام ذكر المؤمنين، والمسلم، والكافر، والمنافق) .

يعد حديث ابن فارس بهذه الصورة مرحلة تطوير (المصطلح العلمي) الموضوع من طريق الابتداع [٧] مثلما فعل جابر بن حيان في تسمية بعض المعادن بأسماء الكواكب مثل تسمية (الشمس) بمعنى : الذهب ، و(القمر) بمعنى : الفضة ، و(الزهرة) بمعنى : النحاس ، و(المريخ) بمعنى : الحديد ، و(زحل) بمعنى : الرصاص ، فقد خرجت هذه الألفاظ من معانيها الحقيقية لتدل على معانٍ اصطلاحية خاصة . وهذه ظاهرة موجودة في التراث العلمي العربي وقد تحدث الأستاذ عبد الصبور شاهين عن تلك الظاهرة ونقل ما ذكره الخوارزمي في مفاتيح العلوم أن من أرباب صناعة الجواهر والعقاقير والأدوية مصطلحات خاصة بهم أشبه باللغة السرية ، وقال الخوارزمي : ((ويكفي أرباب هذه الصناعة في الرموز على الذهب بالشمس ، والفضة بالقمر ، وعن النحاس بالزهرة ، وعن الرصاص بزحل ، وعن الحديد بالمريخ ، وعن الخارصين بعطارد ، وقد يقع بينهم اختلاف في هذه الرموز وفي أكثرها ، وإنهم لا يكادون يختلفون في الشمس والقمر)) .

إذا قلنا : هو التعريف يمكن المعنى ، وهو اصطلاح[٨] لتحديد المفهوم الكلي يذكر خصائصه ، ومميزات التعريف الكامل ما يساوي المعرفة تمام المساواة ، ويسمى مانعاً جامعاً ، ومن الأمور المهمة في لغة العلم وضع مصطلحات موحده لا يجوز أن يدل المصطلح الواحد على مدركين ، ولا يكون للمدرك الواحد مصطلحان أو أكثر

.

علم المصطلح : هو علم يحصل به القدرة التامة على إثبات الدلائل ذاتياً أو نقلاً من المعنى اللغوي من طريق المجاز والاستعارة حتى الكناية ، مع مراعاة الدلالة التي تأتي على ما يأتي[٩] :

المعنى الوظيفي ، أي : وظيفة المبنى[١٠]التحليلي فيما يخص المستويات المختلفة من صوتية ، وصرفية ، ونحوية .

المعنى العلمي ، أي : القرائن التي تستشف من المحاور الاجتماعية التي قبل فيها النص .

المتن المعجمي ، أي : معنى الكلمة المفردة ، وإذا قيس موقف المعاجم التي تكون ما يسمى بـ (الوفاء الدلالي) من بعد آخر وجدنا أن ما نسميه المصطلحات المتخصصة دخل ضمن ما يعني بالتعابير الاصطلاحية .

وعلى ذلك يمكن القول إن المصطلحات المفردة والمركبة والتعابير[١١]الاصطلاحية تعريفات للأشياء لا للألفاظ في مجالات العلوم، إلا مثل في حالة الوفاء الدلالي للمصطلح ، مثل ما سمي الذهب بالشمس ، والفضة بالقمر ، والنحاس بالمريخ ، وهكذا المسميات المبتدعة التي وضعها جابر بن حيان لألفاظه الكيميائية ولا سيما العناصر الأساسية لعلم الكيمياء .

إذن المصطلح لفظة تترجم إلى الإنكَليزية (terminology) ، وليست تعريفاً كي تترجم (definition) الذي يقتصر على كون الشيء مادياً أو عرضياً ، فإن استقلالية مصطلح الشمس بمعنى الذهب ، والقمر بمعنى الفضة ، والمريخ بمعنى النحاس تظهر حينما نقوم بعملية كيميائية بوتقة تجربة كيميائية ، فمن الطبيعي أن دلالة الشمس الداخل في بوتقة التجربة هي غير دلالة كوكب الشمس وغير دلالة

كوكب القمر والمريخ ، وكذلك أخذنا مثل الخرس عند الرجل أو المرأة ومحرك السيارة التي يسمى محركها الأخرس ، أو المرأة بالخرساء تظهر حالة الخرس وتفاوتها بين الاثنين بحسب درجه إفهام الأخرس للمخاطب إذ يخضع هنا المصطلح الميكانيكية في التعبير ، والوفاء الدلالي لمصطلح أخرس لدى محرك السيارة يكون أوفى ، لأن العملية الميكانيكية محكمة لدى محرك السيارة ، إذ درجة ارتفاع الصوت وهبوطه يسيطر عليه ميكانيكياً ، كما هو مصطلح الشمس على عنصر الذهب ، وهو في البوتقة ، حيث الدلالة تكون تامة على العنصر من دون المقصود بالكوكب .

ونخلص من هذا ونقول : إن المصطلح هو : لفظة تعطي دلالة كليه مادية ، وعلى الترجمة الأجنبية تحت عنوان (terminology) .

يعد المصطلح العلمي والحضاري من المظاهر الأساسية لرقي اللغة وحضارتها، فهو استيعاب المصطلح ذاته للإطار العام بفكرة تلك اللغة لأي أمة من الأمم ، والعقد بينهما للتقدم الإنساني كي تتبلور حينئذ إلى سمات الثقافة الحقيقية ، وألحقت في مضامير حياتها المتشعبة ، لتصل في الناهية في تحقيق غايات اللغة المثلى للاستيعاب والأداء الدلالي لبناء الصرح الحضاري للأمة باللغة ، ولقد كان من نصيب حضارتنا العربية في مجال المصطلح العلمي فيما تيسر لعلماء اللغة والعلوم والآداب والفنون حظ وافر ، والأمثلة على ذلك كثيرة في مجال علم اللغة والعلوم البحتة ، ومنها : الكيمياء ، والطب ، والفلسفة ، وفي الآداب والفنون كذلك حين ظهرت لنا مؤلفات كثيرة في شتى المجالات ، واذكر منها التي أظهرت دراسة المصطلح العلمي في مجال علم الطب ، فمثلاً كما هو المصطلح العلمي الطبي في كتاب الحاوي للرازي بمادته العربية والمعربة والدخيلة وهي (رسالة ماجستير أعدها الطالب محمد حلبص بإشراف الدكتور عبد الصبور شاهين) ، وكذلك المصطلح العلمي عند حنين بن إسحاق (رسالة دكتوراه أعدها الطالب مصطفى إبراهيم علي

بإشراف الدكتور محمود فهمي حجازي) ، وكذلك المصطلح العلمي عند جابر بن حيان ولا سيما الكيميائي والدوائي وأظهرنا فيها المعرب والدخل والعربي والأصل ، وعرضت المصطلحات على المعاجم وكتب التعاريف الخاصة بالعلوم والفنون ، ثم استعراض مداها الدلالي وتأهيلها من حيث العربية والأعجمية ، وأخضعت للدارسة اللغوية العربية ، وما يلي المصطلحات المفردة من دون المركبة وبيان حالة انتقال الدلالة من اللغوية إلى العلمية ، أي (الاصطلاحية) ، وهي مرتبة بحسب المجالات الدلالية .

أولاً : المصطلحات الدالة على عمليات كيميائية :

التسقية [١٢] : الدلالية اللغوية : سقي الماشية أو الأرض بالماء ، الدلالة العلمية : هي السحق . وانتقال المعنى تم عن طريق المشابهة بين حالة الأرض حينما تسقى بالماء وتتفتت أجزاؤها وحالة المادة الكيميائية التي تخضع لعملية السحق وتتفتت أجزاؤها أيضاً .

التشميع [١٣] : الدلالة اللغوية : خلط الشيء بالشمع ، والدلالة العلمية : هو الاختلاط أو الازدواج الكلي للعناصر . نلحظ انتقال المعنى حصل عن طريق المشابهة في عملية الخلط .

التشوية[١٤] : الدلالة اللغوية تسخين الماء ، الدلالة العلمية : الطبخ والتقليد ، انتقل المعنى عن طريق المشابهة في عملية تسخين الماء ، لما يقتضي ناراً ووعاءً ، وكذلك الطبخ والتقلية .

الاستخراج[١٥] : الدلالية اللغوية : الاستنباط ، الدلالة العلمية : علمية كيميائية ينتزع بها شيء عن شيء ، كاستخراج الدهن من النبات ، إذ انتقل المعنى عن طريق انتزاع شيء معنوي من آخر.

ثانياً : المصطلحات الدالة على الأوزان :

(العشر) الدلالة اللغوية : جزء من عشرة ، الدلالة العلمية : وحدة وزنية قدرها ثلاثة أرباع حبة . انتقال المعنى حصل عن طريق المشابهة الواحدة من عشرة وجزئية العشر من الحبة .

ثالثاً : المصطلحات الدالة على آلات كيميائية :

الآثال [١٦] : الدلالة اللغوية : المجد والشرف ، والشرف من معانيه العلو والمكانة العالية ، الدلالة العلمية : آلة كيميائية خاصة في عمليات التبخير ، انتقل المعنى عن طريق العلاقة السببية من السَّبب إلى المسبب ، وذلك لأن هذه الآلة سبب في تصاعد البخار وعلوه فسميت به .

القابلة[١٧] : الدلالة اللغوية : من النساء معروفة ، الدلالة العلمية : آلة كيميائية يجمع بها الماء القاطر من شعب الأنبيق ، وانتقال المعنى عن طريق المشابهة بين وضع المرأة التي تستقبل الطفل حين الولادة والآلة التي تستقبل الماء القاطر .

القرعة[١٨] : الدلالة اللغوية : الجراب الواسع أو الصغير يلقى فيه الطعام . الدلالة العلمية : آلة كيميائية على هيئة الإناء منه الصغار والوسط والكبار ، وانتقال المعنى حصل عن طريق المشابهة إما في الشكل وإما في الوظيفة .

العمياء[١٩]: الدلالة اللغوية : صفة للذي ذهب بصره من المؤنث . الدلالة العلمية: آلة كيميائي سميت بالصفة ، وهي الآلة الكيميائية التي لا مكب لها أو شعب ، وتكون مقفلة كالأنبيق والقرعة ، وانتقال المعنى حصل عن طريق المشابهة وفتحة هذه الآلة .

رابعاً : المصطلحات الدالة على مواد كيميائية :

الآبق [٢٠] : الدلالة اللغوية: إحدى الصفات التي خص بها العبد الهارب من سيده، فيقال : (العبد الآبق) . للدلالة العلمية : هو الزئبق ، ويسمى : (العبد الآبق) أيضاً ، فانتقال المعنى حصل من صفة (الآبق) التي خص بها العبد وهو هارب من سيده . والزئبق هو هارب من النار . وقد تم انتقال المعنى من صفة معنوية إلى ذات مادية .

الإخوان [٢١] : الدلالة اللغوية : الأخ : وهو القدر ، الدلالة العلمية : الزرنيخان الأصفر والأحمر ، وانتقال المعنى عن طريق المشابهة بين ما يعد من القدر ، والزرنيخ الذي من أسافل الأواني والطباخات، وما يكون بهذه الصورة يعدُّ من القذر.

الأرض [٢٢] : الدلالة اللغوية : هذه الأرض المعروفة . الدلالة العلمية : حجر أبيض ، وانتقال المعنى حصل عن طريق المجاز على سبيل الحجر جزء مادة الأرض .

والأرواح [٢٣]: الدلالة اللغوية : ما به حياة الأنفس . الدلالة العلمية : وهو ما ذاب في النار ونفر وطار عند ملامسته النار والحماء ، وهي : الزئبق ، والنشادر ، الزرنيخ ، وانتقال المعنى حصل عن طريق المشابهة بالصفة المعنوية للشيء المعنوي وهو طيران الروح عند الموت ، والصفة المعنوية لشيء مادي .

الأزت [٢٤]: الدلالة اللغوية : الزينة . الدلالة العلمية : هو الذهب . وانتقال المعنى حصل للعلاقة الجزئية ، لأن الذهب جزء أساسي للزينة فسمي به .

وأخيراً يختتم هذا المقال بأن الذي ورد في المقالات السابقة من تفصيل مختصر وأمثلة قليلة من المصطلحات ، وطريقة استعمال اللغة العربية واستعمالها في

المجالات العلمية وطرق التعبير بهوية عربية للمصطلحات ، يعد من ماضي اللغة العربية، وسوف نستمر بالبحث لإثبات الماضي حتى نبدأ بالحاضر والمستقبل.

المبحث الثالث

المصطلح العلمي المركب

الشيء البارز الذي أردناه من وراء تلك الفقرات السابقة ، هو التأكيد على أن ما تعلمناه ولم نزل نتعلمه من اللغة بات في حاجة كبيرة إلى معاودة دراسته وتجديده وتدوينه ، والزيادة عليه بحسب ما نحتاجه من دون حدود مادية أو معنوية ، على وفق واقع الحال على وجه يكون أكبر حظاً في باب الصدق وأوفر نصيباً بمعنى الدقة ، ومهما يكن من شيء فقد رأيت البحث في مجال المصطلح العلمي العربي في ماضي اللغة يعد أساساً ومقالاً جميلاً ، لما سوف نقوم فيه في حاضر اللغة ومستقبلها ، وقدر أن نأخذ بمذهب الجد ويكون لنا حساب جدي بالنسبة إلى حاضر اللغة ومستقبلها ، وإلا وضعت العربية في الموضع القلق والمحل المتهافت والمضمار الضيق ، وتبعة كل ذلك إنما تقع على كاهل اللغويين وحدهم ، حين وقفوا موقفاً متردداً أمام تواضعه ، وأن تسلم اللغة إلى الحياة تسليماً عفويّاً ، وأن نردها إلى محلها من الحاجة والضرورة ، لأن اللغة ومنزلتها من التصنيف الاجتماعي مؤسسة مرتبطة ارتباطاً مباشراً بنشاط الإنسان ، تتحرك بقانون الغاية لا سببية .

إذن نقول : إن انتشار اللغة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقانون الغاية لا السببية ، وقانون الغاية يظهر في بناء الحضارة بوساطة وسائلها الأساسية كالمجتمع الذي هو أهم

وسيلة من وسائل الحضارة واللغة ، ومن أهم وسائل المجتمع لكي يحقق غايته إظهار حضارته وانتشارها .

يعد مقال المصطلح العلمي المركب[٢٥] جزئية مهمة من كلية اللغة العربية في تعبيرها العلمي ، وعلى الرغم من أن المصطلح العلمي المفرد دخل المعجمات اللغوية ابتداء من الجذر الثلاثي إلى السداسي بعنوان (فعل) غير مزيد ، ثم المزيد فالمصطلح المركب مدخله طارئ في المعجمات اللغوية ، ولكن معجمات المصطلحات العلمية ظهرت منفردة لكل علم من العلوم مصطلحاته ويزاد عليه المصطلح المركب وهو أربعة أنواع هي :

- المركب الإضافي .
- المركب الوصفي .
- المركب الاسنادي .
- المركب المزجي .

نستطيع أن نعلق هذه المصطلحات المركبة بالتعبير الاصطلاحي .

وقد جاء المركب الاضافي والوصفي بصور مختلفة من ناحية التأصيل اللغوي لأطراف التركيب ، وهذا يثبت أن اللغة العربية في ماضيها اقتنت من اللغات الأخرى مصطلحات مركبة ومفردة ، أو أحد أطراف المصطلح عربي والأخر أعجمي ، وقد أعطت المصطلحات دلالتها العلمية الواضحة ، والأمثلة على ذلك في عدد من المصطلحات يكون على ما يأتي :

أولاً : المركب الإضافي :

وهو : المركب الذي طرفاه عربيان مثل المركبات الآتية :

برادة الحديد ، بالضم : ما سقط من الذهب والفضة إذا برد ، والدلالة العلمية : من المسحول الصلب ، كالذهب والفضة والحديد .

بصل العنصل : هو عشب معمر له أوراق منبسطة كأوراق الكراث .

أرض القدر : الأرض حجر أبيض معروف ومركباته أرض القدرة : قراراته ، وأرض القرعة وقراراتها .

- روح الروح : هو الدهن .
- حجر الشمس : البلور .
- حجر القمر : الكهرباء .
- حجر الفلاسفة : الكبريت والزئبق .

والمركب الإضافي المختلف عربي وفارسي ، ويكون :

١. حينما يكون المضاف من أصل عربي والمضاف إليه من أصل فارسي مثل : رصاص الاسرنج ، رصاص الاسفيداج ، رصاص المرتك . والرصاص : هو المعدن المعروف . والاسفيداج : هو رماد الرصاص ، وألانك والاسفيداج (فارسية تعريب اسبيد – أب أو اسبيدا أو اسبيدو) . الاسرنج : يسمى بالسيلكون ينفع للجراحات ، من الفارسية ويسمى حالياً أوكسيد الرصاص الأحمر ، والمرتك : (فارسية معربة : متركَ) .

٢. حينما يكون المضاف من أصل فارسي والمضاف إليه من أصل عربي مثل : توبال الحديد ، واسرنج الذهب ، وزنجفر الزئبق ، وزعفران الحديد... الخ .

المركب الإضافي عربي وسرياني :

المضاف من أصل عربي والمضاف إليه من أصل سرياني، مثل : بزر قطونا، وحب الصنبور ، وقضبان الآس ، وماء الكبريت .

المضاف من أصل سرياني والمضاف إليه من أصل عربي ، مثل : كراث الكرم .

المركب الإضافي عربي ويوناني : وهو المضاف من أصل عربي والمضاف إليه من أصل يوناني مثل : عشب الانبيق ، ودهن المصطكي ، وماء الكافور ، وحلولات الأكاسير .

المركب الإضافي المختلط عربي ولاتيني : وهو المضاف عربي والمضاف إليه لاتيني مثل : ماء الصابون .

المركب الإضافي عربي وهندي : وهو المضاف عربي والمضاف إليه من أصل هندي مثل : عسل البلاذر .

المركب الإضافي الأعجمي وقد ورد منه فارسي وسرياني مثل : جفت البلوط ، شاه بلوط .

ثانياً : المركب الوصفي :

المركب المختلط عربي وفارسي :

حينما يكون الموصوف من أصل عربي والصفة من أصل فارسي مثل : ملح اندراني ، وخزف شهر زوري .

حينما يكون الموصوف من أصل فارسي والصفة من أصل عربي مثل : الزرنيخ الأصفر ، والزاج المصري ، والنشادر المحمر ، والزئبق المقتول .

المركب الوصفي عربي وسرياني ، حينما يكون الموصوف من أصل سرياني والصفة من أصل عربي مثل : توتياء مصول ، وتوتياء محمودية ، والنفط الأبيض ، والكبريت الغائم ،

المركب الوصفي من أصل عربي ويوناني ، حينما يكون الموصوف من أصل يوناني والصفة من أصل عربي مثل : الانبيق الأعمى ، والمغنيسيا الأنثى ، والياقوت الأحمر .

المركب الوصفي من أصل أعجمي مختلط فارسي وسرياني مثل: دستج زجاج.

وأخيراً قد وردت مصطلحات فارسية بطرفيها سواء الإضافي أم الوصفي أم المزجي مثل : دستجة الهاون، وطا بشدان ، وخار صيني ، وبوط بربوط .

أما بالنسبة إلى التعبير الاصطلاحي[٢٦](Idiomatic Expresion) فيختلف عن مفهوم المصطلح الفني والذي ترجمته باللغة الانكَليزية (Terminology Or term) ، فإذا قلنا : علم المصطلحات فإن مجاله التعبيرات المتداولة في لغة ما . أما الثاني فمجاله المفاهيم الخاصة التي يعرضها أي علم من العلوم النظرية أو العلمية ، وإذا نظرنا إلى التعبيرات الاصطلاحية في اللغة العربية من ناحية :

البناء الوظيفي (المورفيمي للكلمات) للتعبير فسنجده يتكون من جملة أو شبه جملة ، فمثلاً (ضرب الطفل) بمعنى : عاقبه ، و(ضرب العملة) بمعنى : سكها، و(ضرب الوتد) بمعنى : دقه ، و(ضرب الأرض) بمعنى : سافر . بدخولها على الاسم وتعليقها أو المحذوف وكذلك الظرف وتعلقه بلفظ متضام ظاهر أو محذوف مثل التعبيرات الاصطلاحية ومن الأمثلة التي وردت عن الحسن بن الهيثم[٢٧] تعبيرات اصطلاحية وهي جمل اسمية في مكوناتها وتأثير حروف الجر بها، مثلاً في تمركز الدلالة العلمية عليها ، ومنها :

(أبصار بالبديهة) ، وهو : إدراك المعنى الظاهر من المبصر فقط ، وليس يتحقق بالبديهة صورة المبصر .

و(إبصار بالتأمل) ، وهو : إبصار المبصرات التي لم يدركها البصر من قبل، أو ليس يذكر أو إدراك لها إذا تأملنا في المبصرات التي لم يدركها البصر من قبل ، أو يذكر إدراكه لها إذا تأملها في حال إدراكه .

و(إبصار بمجرد البديهة) ، وهو : يدرك البصر من المبصر المعاني الظاهرة فقط ، وليس بتحقيق صورة المبصر .

نلحظ أن تفصيل التضام بين مكونات هذه المصطلحات يحتاج إلى تفصيل الجملة من ناحية البناء الأعرابي ، لبيان المحذوف ولفظه المقدر ، أو البيان الظاهر منه ، والسبب أن الجار والمجرور الذي هو مركز تخصيص الدلالة يحتاج إلى متعلق ، والمتعلق في جميع هذه المصطلحات هو محذوف وتقديره : (كائن)، أو (استقر) ، ويكون المصطلح (إبصار بالبديهة) على أساس تقدير الخبر بعد المبتدأ إبصار ، فالتضام يتم بمبتدأ + خبر + جار ومجرور ، فتكون الجملة إسمية متضامة هي

المبتدأ + الخبر + الجار والمجرور ، وإن الجار والمجرور مركز تخصيص الدلالة للتعبير الاصطلاحي فيها أحرف الجر ، فأعطت الجملة دلالة تعني تخصيص التخصيص مثل :

(الإبصار بالبديهة مع تقدم المعرفة) ، وهو : إبصار المبصرات التي تقدمت معرفة البصر بها في حال ملاحظتها ولم يستأنف مع ذلك تأملها .

(الإبصار بالتذكر مع تقدم المعرفة) ، وهو : إبصار جميع المبصرات التي أدركها البصر من قبل ، وهو ذاكر لإبصارها ، إذ استأنف مع معرفتها واستقرئ المعاني التي فيها حرف الجر ، وأصبحت الدلالة من باب تخصيص التخصيص ، فكل هذه التعبيرات قد استعملها الحسن بن الهيثم كمصطلحات لها مستنبطة من النص .

وأخيراً نقول أنَّ اللغة العربية توجد فيها خيارات لغوية من دون حدود ، لاستيعاب الماديات والمعنويات الحضارية طبقاً لواقع الحال .

المبحث الرابع

العربية ولغات الحضارة أخذ وعطاء أو تأثير وتأثر

أشرنا فيما سبق وأكدنا مسألة مهمة وخطيرة وهي اعتماد اللغة العربية في مستقبلها وقدرة أبنائها على الإبداع والاختراع فيها ، ولا أدعي للعربية الكمال المطلق ، ولكني لا أحب أن ادعي العجز أيضاً ، فهاتان حالتان نرجئ أمرهما إلى ما بعد هذه الفقرة ، للبحث في ثروتها اللغوية بحثاً جديداً نستفيد منه بتنميتها لمواجهة الحضارة الوافدة عليها ، حتى إذا ما فعلنا ذلك ووقفنا حقّاً على تلك الثروة ، وعرفنا ما فيها استطعنا حينئذ أن نحكم حكماً لا يستطيع معارض له دفعاً ، وقليلة هي تلك الدراسات اللغوية التي حاولت اتباع أمر هذه الصلة بين اللغة والمجتمع ، وأن تخرج بها بعيداً عن حدود الدرس النظري ، وتدخل بالميدان العملي ، ومن ثم بقيت اللغة العربية تفتقر إلى درس لغوي مفرد يتتبع أمر هذا التطور الاجتماعي ، ولاسيما فيما يتصل بجوانبه الحضارية وأثره في اللغة العربية ، وكذلك لم تكن المجازات اللغوية والاصطلاحات تفي بهذا الغرض الحضاري ، ولو راجعنا الألفاظ الحضارية في تاريخ الكلمات وتحولها من حال إلى حال وتبيان الطرق التي سلكتها في سبيل ذلك، ثم دراسة الأسباب والعوامل التي أدت إلى تخلفها عن مسايرة ركب الحضارة لانتهى الأمر إلى رمي اللغة بالعجز والقصور ، وهذا البحث هو محاولة لتذكرة الباحثين في تاريخ دراسة اللغة العربية من ناحية النمو اللغوي مقابل التحول الحضاري للمجتمع

واستيعاب اللغة له في ضوء ما ينقصه ويتوصل إليه علم اللغة العربية ، ونقول : إن التناسب بين التحول الحضاري للمجتمع يجب أن يقابله نمو لغوي ، وللنمو اللغوي عوامله ومصادره ، وأقرب العوامل والمصادر إلى النمو اللغوي هي[٢٨] :

- علاقة اللغة بالفكر .
- علاقة اللغة بالمجتمع .
- علاقة اللغة باللغات الأخرى وطرق التقارض بالألفاظ .

وفيما يلي نتوقف أمام كل عامل من هذه العوامل ، محاولين اختصار دراسته ، ومدى تأثيره على نمو اللغة وتطورها وظهورها الواقعي في المجتمع .

اللغة والفكر :

ما يزال موضوع الفكر واللغة وتحديد العلاقة بينهما من أكثر مباحث اللغة تعقيداً ، وقد تنازع الباحثون اللغويون والفلاسفة في تحديد العلاقة التي تربط بين اللغة والفكر ، فلكل علم مصطلحاته الخاصة به التي يحددها أصحاب هذا العلم، وهذه المصطلحات ما هي إلا محاولة جزئية لتحديد العلاقة بين اللغة والفكر ، وكذلك العلاقة التي تربط بين اللفظ ، وما يعطيه هذا اللفظ من فكرة أو معنى أو دلالة ، حتى لا يظل العالم في تعامله مع هذا العلم في مدلولات الألفاظ العادية ذات الدلالات المتباينة أحياناً والمتضادة أحياناً أخرى ، تلك المحاولات كما قلت هي صورة من صور تحديد العلاقة بين اللغة والفكر، لا يختص ببحثها اللغويون وحدهم، بل يشاركهم فيها غيرهم من أصحاب العلوم المختلفة ، ومن هنا تظهر خطورة الوفاء الدلالي للمصطلح ولاسيما المصطلح العلمي وهذا عند اللغويين ، وأما عند الفلاسفة

فهو بمثابة الرقم الرياضي الناتج عن العملية الرياضية كالضرب والقسمة والجمع ، أي إن المصطلح يدل على كنه المحدود بكامله[٢٩].

اللغة والمجتمع :

من دراستنا لطبيعة العلاقة بين اللغة والفكر ومدى تأثير كل منها بالآخر ، عرفنا إلى أي مدى كان ابن جني (٣٩٢ هـ) دقيقاً حينما قال[٣٠] : إن اللغة أصوات يعبر بها على كل قوم عن أغراضهم ، وفي هذه العبارة نجد كلمة أخرى تدلنا على دقة هذا التعريف ، وهي كلمة (قوم) وما القوم إلا المجتمع كما قال ابن جني ، وهنا نتوقف قليلاً أمام رأي العالم الأنثروبولجي (مالينوفسكي) [٣١] الذي يرى وظيفة اللغة ليست مجرد كونها وسيلة التعبير ، بل يرى أن وظيفة اللغة ليست مجرد كونها وسيلة للتعبير ، ، ويقول فندريس[٣٢]: (في أحضان المجتمع تكونت اللغة) ، واللغة إذا ليست من الأمور التي يمكن أن يصنعها فرد واحد ، وإنما تخلقها طبيعة الاجتماع الإنساني .

علاقة اللغة باللغات الأخرى (الصراع اللغوي) :

تشبه اللغة بالحضارة كل منها نادراً ما تنفلق على نفسها ، فالضرورات التي تلجأ حضارة ما للتأثر بحضارة أخرى تجاورها ، فهي بعينها التي تدفع إحدى اللغات للتأثر بلغة أخرى مجاورة لها أو دخيلة عليها ، وقد يتم ذلك عن طريق اتصال مباشر بين اللغتين . فأحياناً يكون سليماً قائماً على تبادل المنافع الحضارية كالفن والعلم والدين ، أو عنيفاً بغرض الغزو والفتح ، وينشأ هذا الصراع من عوامل كثيرة منها[٣٣]:

أولاً : السيطرة السياسية :

والسيطرة السياسية لعناصر أجنبية تنطبق بلغة غير لغة أهل البلد ، وأوضح مثال على ذلك سيطرة فرنسا على المغرب والجزائر ، إذ صارت اللغة الفرنسية الأثر الشاخص لتلك البلدان هناك جهود كبيرة في هذا المجال لكي تكتسب اللغة العربية في تلك البلدان النصر ، وتكون اللغة العربية هي المنتصرة علماً أن الأمر خطير في أثناء الاستعمار الفرنسي لتلك البلدان وقوة اللغة العربية تظهر بالقوة ، لأنَّها هي لغة السكان الأصلية ، فضلاً عن دعم تلك الدول لعملية التعريب في جميع المجالات ، ولا سيما في المجالات التربوية والدينية والسياسية .

وعلى الرغم من ذلك لا تخرج اللغة العربية سليمة تماماً من هذا الصراع ، فاحتكاكها باللغات الأخرى يجعلها تتأثر في بعض مظاهرها ، ولا سيما في مفرداتها يقول سابير[٣٣] العالم اللغوي الفرنسي : ((إن مظاهر التأثير التي تمارسه لغة على أخرى يتمثل في اقتراض الكلمات ، فقد تأخذ لغة من لغة أخرى دخلت معها حلبة الصراع ، أي : لمفردات كثيرة ، مثلما فعلت اللغة التركية مع اللغتين العربية والفارسية في الحقبة العثمانية ، وكما فعلت اللغات السريانية والعبرية واليونانية مع اللغة العربية في مجالات شتى ، ولا سيما العلمية منها ، وهذه الظاهرة المعروفة في علم اللغة تسمى (الاقتراض اللغوي))). والاقتراض اللغوي ، هو : أخذ لغة معينة ألفاظاً وتراكيب من لغة أخرى وتستعملها لفظاً ودلالة ، ففي تلك الحالة توصف الكلمة بالدخيلة والمعربة ، وبيان ذلك الفرق أن أهل اللغة الأقدمين لم يقلقوا كثيراً ، فقد استعملوا المعرب والدخيل بمعنى واحد ، ومنهم السيوطي في المزهر[٣٤] وشهاب الدين أحمد الخفاجي في شفاء الغليل[٣٥] والذي يمكننا القول فيه كما قال المحدثون: إنَّ المعرب والدخيل مختلف على طريقتين :

إذا جاءت لفظة أجنبية وهذبت من حيث لفظها وأشبهت الأبنية العربية في ميزانها الصرفي عدّت من المعرب ، وأما إذا بقيت على وزن غريب عن اللغة العربية فهي من الدخيل .

اللفظة الأجنبية التي استعملها العرب الذين يحتج بكلامهم يعدُّ من المعرب ، ولم تكن من حيث بناؤها ووزنها الصرفي مما يدخل في أبنية كلام العرب . أما ما دخل بعد ذلك فإنه من الدخيل ، أي : الذي جرى على الألسنة والأقلام مستعاراً من اللغات الأجنبية لحاجة التعبير إليه ، وهذا التحديد الأخير هو الذي يأخذ به المحدثون على سبيل المثال الألفاظ (طنبور، وتنور، وبلور) تعدُّ مصطلحات معربة، لأنها تطابق الوزن الصرفي العربي، أما المصطلحات الدخيلة مثل (إبريسم، وسجيل، واستبرق ، وزنجيل ، وسرداق ، وفردوس) ، فإنها لا تطابق الوزن الصرفي العربي ، والحديث عن المعرب والدخيل طويل يحتاج إلى بحث خاص ، لما فيه من التفرعات والتشعبات وكثرة التأثير والتأثر بين اللغة العربية واللغات الخرى ولا سيما اللغات السامية (العبرية، والسريانية، والنبطية، والحبشية... الخ) ، وفيما يأتي بعض الأمثلة من اللغات السامية والآرية الداخلة في اللغة العربية ونختار منها ما يأتي[٣٦] :

- ❖ من الحبشية : طه ومعناها : يا رجل ، ومشكاة ومعناها : الكوة ، والأرائك ومعناها : السرر .
- ❖ الفارسية : الاستبرق ومعناه : الديباج الغليظ ، وأباريق ، وجهنم ، وسرداق ، وسلسبيل .
- ❖ الرومية : صرهن ومعناه : قطعهن ، والفردوس ومعناه : البستان ، والقسطاس وعناه : الصراط ومعناه : الطريق .

❖ الهندية : طوبى : اسم الجنة ، والسندس ومعناه : الديباج الرقيق .

❖ السريانية : الطور ومعناه : الجبل، ولات حين مناص ، أي : ليس حين مناص .

❖ العبرانية : المرقوم ومعناه : المكتوب ، والرمز ومعناه : تحريك الشفتين ، واليم ومعناه : البحر .

❖ النبطية : الأسفار ومعناها : الكتب ، والحواريون ومعناه : الغاسلون للثياب ، والأكواب ومعناه : جرار ليس له عرى .

❖ القبطية: متكأ معناه : الأترج ، ومزجاة معناه : قليلة .

❖ الزنجية: حصب جهنم معناه: حطبها، والنشأة معناه: العصا، وكذلك في الحبشة .

❖ البربرية : المهل معناه : عكر الزيت ، ومن عين آنية أي : جارية ، أبٌّ معناه : الحشيش .

ومن المشكلات الكبرى للغة العربية في التاريخ المعاصر هي المسألة الاقتصادية والاعتماد على المواد المستوردة ، إذ إن تسمية المواد بكليتها ومفرداتها وجزئياتها تسمى بلغة البائع الأجنبي، إلا إذا اشترط المشتري على البائع أن التسمية تكون بلغة البائع ولغة المشتري ، وهذا مما حصل في السعودية ، إذ إن المخطط لآلة المشتراة أي (الكاتلوك) باللغة العربية والأجبية ، واللغة الأجنبية التي تكون فيها تلك المخططات أو (الكاتو لاكات) باللغة الإنكَليزية وهي لغة أساسية في التعاملات الأجنبية من دون اللغات الأخرى . وهذه عينات يتحدث بها العامة من الناس، ونقول: العامة، لأنَّ الخاصة تحتاج إلى الدخول في عمق المسألة، أي الأكثر

تخصصاً من ناحية تنوع العلوم كالطب والكيمياء والفيزياء والهندسة... الخ ، ومن المصطلحات والألفاظ الأجنبية المستعملة إلى جنب اللغة العربية في التفاهم هي :

- ❖ الحاجيات المدنية مثل: السيارات وأجزائها مثل : (تاير، ويل، وسبرنگ، وهورن، وبنز، وصالنصة، وأكسل، وفلتر ، وكابريتر ، ورادیتر ، وماطور ، وجاملغ ... الخ .
- ❖ الحاجيات المدنية مثل : إركندشن ، وسبلت يونت ، وأوفن . . . الخ ، يضاف إليها الاسبير بارت الخاص بتلك الاجهزة .
- ❖ الحاجيات الطبية والأدوية مثل : أسبرين، وفلو آوت، والدوميت ، وتينورمين ، وكابوتين ، وسلابيد ، وساملين ، وازردين ، وانسولين ، وديتول... الخ .

وهناك في الأشياء الصناعية والتجارية والزراعية التي يداول أسماءها الناس باللغة الأجبية من دون تحديد اللغة ، لأنَّ التسميات أحياناً بحسب المناشئ تكون إنكَليزية أو لاتينية أو ألمانية أو فرنسية... الخ ، والأيام تسير بنا إلى الجديد ، فلا أدري ما موقف اللغة العربية من ألفاظ معدات الفضاء والانترنت، إذا لم تستعد لذلك، ويبقى السؤال : اللغة العربية تنتشر أم تنحسر .

المبحث الخامس

التدابير اللازمة للعودة الحضارية للغة العربية

إننا نجد أن حياة اللغة وارتقاءها مبنيان على مقدار نصيب أهلها من الرقي والتمدن ، وكلما ارتقت الأمة كثرت حاجاتها بالطبع ، فاتسعت لغتها باتساع الحاجات ، واللغة إذا اتسعت احتاجت إلى ضوابط وقواعد تصونها ، فاللغة التي يسلك بها أهلها هذا السبيل ، التي حفظت نفسها بها ، وضع الغيارى لها من ضوابط وقواعد تحفظها وتعين على نموها وتتسع بها للجديد ، كتبت لها الحياة ونمت ، والتي يهمل فيها هذا الأمر ترجع القهقرى حتى تموت وبموتها تموت أمتها .

وكما أن مبلغ رقي الأمة إنما يعرف برقي قوانينها وشريعتها ، كذلك كل لغة إنما تعرف قوتها بمتانة أصولها وانتظام قواعدها وسعة بينها ، ولا أكون مبالغاً إذا قلت : إن اللغة هي في الأغلب مفردات وألفاظ وأصول وقواعد وأساليب تربطها .

ونحن الآن الناطقون باللغة العربية نمر بمرحلة حرجة من ناحية استقبال الحضارة الوافدة علينا بمختلف صورها ولا سيما المادية منها ، ابتداء من العلوم البحتة وانتهاء بالعلوم التطبيقية ، وعلى اللغويين إظهار معدات اللغة لاستقبال تلك الحضارة الجديدة ، ومن معدات اللغة : التعريب ، والنحت ، والتوليد ، والاشتقاق ، والتركيب ، والتعبير الاصطلاحي[٣٧] ، ونرجو للغة العربية في هذا العهد أن تبلغ أعلى درجات

الرقي ، لو أُتيح لها أن تكون هي لسان حال النهضة العلمية ، وهي القائمة بها من دون سواها ، والمعول عليها في خدمتها وإبلاغها غايتها .

ولكنها ما كادت تعيش قليلاً للعودة إلى سالف عهدها حتى قامت في وجهها عقبة تعوقها عن الاستمرار في سبيلها ، وتحول من دون اطراد تقدمها ، وهي حلول اللغات الأجنبية في تعليم العلوم ، واللغة العامية[٣٨] بدأت الآن تزاحم الفصحى وتنازعها في الكثير من شؤون الحياة العادية ، وقامت اليوم لغات أخرى تغالبها وتنازعها ضمن جدران المدرسة والجامعة والبحث وهي اللغات الأجنبية .

قد تكون اللغة العربية الآن مدانة بقصور في نهضتها بالنسبة إلى اللغات الأجنبية التي تقابلها ، وأكبر مثال على ذلك أيام الأندلس ومراكز إشعاعها العلمي على الحضارة الأوربية ، وقد بعثت اللغة العربية الحياة في تلك اللغات الأجنبية ، حياة جديدة بما اشتملت عليه من وجود الأساليب وصنوف المعارف والعلوم التي هي قوام اللغات والسر في بقائها . ولكن اللغات الأجنبية نفسها التي كان لها يد في نهضة اللغة العربية الحاضرة ، هي التي حالت من دون استمرار هذه النهضة وألزمتها حدّاً لا تتعداه ، وكان منها الدواء ومنها الداء . ذلك لأنها لم تقف من اللغة العربية موقف المعين الذي يقتصر من المعونة على القدر الذي يطلبه منه ، إلى أن يتهيأ لهذه اللغة القيام بنفسها والاستغناء عن المعونة تدريجياً ، بل زاحمتها مزاحمة شديدة وقامت مقامها في أمور كثيرة ، وكان باستطاعة اللغة العربية أن تقوم بها .

لا تزال اللغات الأجنبية آخذة بالتبسط والامتداد يوم فيوماً ، وهذا التبسط وهذا الامتداد لابد أن يقابلهما تقلص وانقباض من جهة اللغة العربية ، لأن إهمالها وتحميل غيرها الأعباء التي يجب أن تحملها هي بنفسها في خدمة العلم والقيام بحاجاته ، لا أن يفضي إلى إضعافها وتعطيل قوة التوليد فيها وعجزها بالنتيجة عن

مجاراة الحضارة ، ولا بد من قعودها عن العمل الطويل وركونها إلى لغة أخرى بجانبها تحل محلها وتقوم بعملها ، مما يزيد انفراج المسافة بينها وبين العلم ، فلا يبقى باستطاعتها أن تحلق به يوماً .

وكلما طال الأمر ازدادت المسافة اتساعاً والخطب استفحالاً ، ولذلك فالذي تعجز اللغة عنه اليوم ستكون أعجز عنه غداً ثم أعجز عنه بعد غد . وهكذا إلى أن يجيء وقت يصبح فيه تكليف اللغة لأداء الأوضاع العلمية والمدنية ضرباً من التعجيز ، لأن هذه الأوضاع سواء أحدثت عن طريق الاشتقاق أم عن طريق التعريب يجب أن توضع تدريجياً تبعاً لتقدم الحضارة ورقي العلم ، بحيث يتخذ ما يوضع منها اليوم أساساً لما يوضع غداً . وهذا لا يمكن إلا إذا دخلت الألفاظ الجديدة شيئاً فشيئاً حتى يتهيأ للغة أن تسيغها وتحلقها بأوضاعها المعروفة ، فإذا تراخت المدة على وقوف اللغة تعذر عليها أن تسد الفراغ الذي ينشأ عن وقوفها .

وإذا تيسر ذلك بعد حين وطرأ عليها تيار الأوضاع المحدثة دفعة واحدة ، غصت بها ولم تستطيع اساغتها ، ولم يكن شأن هذه المحدثات حينئذ إلا كشأن الكثير من مفردات اللغة المهجورة التي لا تخرج من بين دفتي القاموس ، وكانت منزلتها من المتعلمين منزلة لغة جديدة . فيعانون من صعوبة تعلمها مثلما يعانون من تعلم لغة بحالها ، وعلى الجملة فإن الخطر الذي تتوقعه العربية الآن من ناحية اللغة الأجنبية لا يقل أهمية عن الخطر الذي يهددها من جهة العامية ، بل هما يتعاونان ويتواطآن على الحلول محلها ، كل منهما في حيز خاص ، وفي طائفة من شؤون الحياة وأغراضها . ولعمري أي شأن يكون باللغة الأجنبية محل اللغة العربية في أداء الأغراض العلمية المدنية ، وهل يبقى لها إلا أن تقتصر على أن تكون لغة الدين وما يدور حوله من العلوم المتفرعة عنه ، وحينئذ تجيء هذه النتيجة مصداقاً لما ذهب إليه رينان في كتابه (تاريخ اللغات السامية العام) إذ يقول ما المحصلة :

فالسلامة السامية إنما خلدت أثراً في تاريخ مما خلفته للعالم من الأديان ، ولذلك كان معظم الفضل بوصول لغتها إلى المنزلة المهمة التي وصلت إليها راجعاً إلى تلك الأديان نفسها ، فبظل اليهودية والنصرانية والإسلام لا تزال اللغات العبرية والسريانية والعربية تحيى كلغات كتب دينية مقدسة ، وهذا القول مع ما في ظاهره من الإقرار بفضل القرآن الذي حفظ اللغة العربية وصانها من التفكك والتحول إلى لغات متعددة يصعب التفاهم بين أصحابها ، كما أصاب اللغة اللاتينية بعد ذهاب دولة الرومان ، أن يكون فيه تلمح إلى أن اللغة العربية تنحصر ميزتها في هذا ، وإنها تحيى بالدين وللدين ، مع أنه قد سبق لها أن عبرت بأدوار برهنت فيها على أنها تلك اللغة الغزيرة المادة الرحبة الاناف ، التي تصلح أن تكون لغة الدين والدنيا معاً ، وهنا قد يبدو لسائل أن يسأل ماذا نفعل ؟

نقول : ينبغي تغيير الموقف من اللغة العامية والنظرة إليها ، وبعد أن ازدريناها طويلاً وأصليناها حرباً ، فعلينا أن لا نقف وقفة المتفرج على النزاع بين الفصحى والعامية في حاضرنا المعاصر ، بل نظهر دور الفصحى في تاريخها الماضي وتوظيفه في الحاضر والمستقبل ، أما العامية فيجب أن نضع لها حدّاً ، لأن انتشارها متوقف على خصائص بها ، هي :

- خلوها من الإعراب ، وهي تشبه به معظم اللغات الحية الحديثة .
- مرونتها في قبول الأوضاع الأجنبية بلفظها الأعجمي ، والنطق بأصوات المقاربة الفونيا العربية ، مثل صوت (j – v – g – ch) [٣٩] بالإنكليزية ، وبالعربية (ج ، كَ ، ف) .
- خلوها من الألفاظ الحوشية والوحشية والمائتة .

- خلوها من المترادفات والأضداد الكثيرة التي تثقل كاهل الفصحى .
- ميلها إلى إطلاق القياس في الاشتقاق للنمو والتوسع ، وهذا من غريب أطوارها .
- كثرة دورانها على الألسنة ومشاعيتها لنا في معظم أحوالنا ، بحيث نألفها ونناجي أنفسنا بها .

والخلاصة أن التنازع بين العامية والفصحى موضوع قديم ، حتى أصبح موضوع بحث وجدل بين العلماء ، ولا سيما المستشرقين ، وهذا يفرض على المجامع اللغوية العربية أن تضم بين أعضائها نخبة من جهابذة اللغويين يعرفون من علم اللغات وغيره من أنواع العلوم أكثر من الشعر والأدب ، حتى تكون التغطية اللغوية للأغراض العلمية والمدنية ، لنلحق بركب الحضارة .

الخاتمة

يمكن حصر نتائج هذا البحث فيما يأتي :

١. إذا أردنا تعميم اللغة العربية في الاستعمال علينا أن نركز الجهد على أهمية المصطلح العلمي وإخراجه من بطون المؤلفات العلمية العربية وإدخاله المعجمات اللغوية ، لتكون اللبنة الأولى في بناء أساس المصطلح العلمي في ماضيه ، ثم ننتقل إلى حاضره ومستقبله بوساطة الخبرة اللغوية والاعتماد على مصادرها الأساسية .

٢. على وزارة التعليم العالي واجب كبير في عملية انتشار اللغة العربية ومصطلحاتها العلمية ، وذلك من خلال فتح أقسام دراسية جامعية لعلم اللغة، ولاسيما الدراسة العلمية الحديثة من دون الاقتصار على تدريس اللغة العربية بالأقسام الجامعية التقليدية ، كما هو حاصل الآن ، إذ إن علم اللغة لا وجود له في كلية الآداب والتربية ، إلا بعض الدراسات اليسيرة في المرحلة الجامعية الثالثة ، ويدرس باسمه التقليدي (فقه اللغة) وعلى المؤلفات التراثية فقط .

٣. القيام بدراسة اللغة العربية على أساس ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، وتبدأ بالدراسة الصوتية ثم التوظيفية للصوت داخل الكلمة ثم الكلمة المتكونة من أصوات ، لتعطي دلالة محددة ، وخصصنا الدلالة المحددة ، لأن اللغة العلمية تعتمد على هذا التعبير بعيداً عن التضاد والترادف والأضداد ، حتى لا ترتبك دلالة المصطلح الذي يدل على مرض أو دواء أو صناعة أو اختراع أو أي شيء من لوازم الحياة المدنية يحتاج إلى دلالة محددة ، لكي يكون

المصطلح وافي الدلالة على المدلول ، فاللغة إذن ليست كائناً مستقلاً يحيى بنفسه لنفسه، ولكنها متصلة كل الاتصال بالحياة، بل هي جزء من هذه الحياة وهي مظاهرها العلمية والأدبية والسياسية والاقتصادية .

الهوامش وقائمة المصادر

(١) اللغة العربية عبر القرون، الدكتور : محمود فهمي حجازي، القاهرة ١٩٨٧م، ٦١.

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، دار الهلال، القاهرة ٣٤/٢ ، ٣٥ ، وينظر لغة الطب عند الرازي (ت ٢٨٥ – ٣٥٣هـ) كما تظهر في كتاب الحاوي، محمد حلبص، رسالة ماجستير، ١٢٢ .

(٣) الألفاظ الكيميائية والدوائية عند جابر بن حيان الكوفي (ت ٢٠٠هـ)، رسالة ماجستير، إعداد الطالب : فائق خلف سلمان، القاهرة ١٩٨٦م ، ٥٠ ، ١٥٠ ، ١٦٤ .

(٤) المصطلحات العلمية عند الحسن بن الهيثم (ت ٤٣٠هـ)، فائق خلف سلمان، أطروحة دكتوراه ، ١٠ ، ١٢٠ ، ١٤٣ .

(٥) المصطلح الكيميائي في التراث العربي، جابر الشكري، مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد، ٣١ ، ٨٣ .

(٦) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، المكتبة اللغوية العربية، القاهرة، ٤٤ ، ٤٥ .

(٧) الألفاظ الكيميائية والدوائية عند جابر بن حيان الكوفي (ت ٢٠٠هـ)، ٥٠ ، ١٥٠ ، ١٦٤ .

(٨) ينظر : الفارابي في حدوده ورسومه، د. جعفر آل ياسين، عالم الكتب، بيروت ٣٤ – ٣٧ .

(٩) علم الدلالة، بالمر، ترجمة : مجيد الماشطة، بغداد ١٩٨٥م ، ٥١ ، ٦١ .

(١٠) المصطلحات العلمية عند الحسن بن الهيثم (ت ٤٣٠هـ)، ١٠ ، ١٢٠ ، ١٤٣ .

(١١) الألفاظ الكيميائية والدوائية عند جابر بن حيان الكوفي (ت ٢٠٠هـ)، ٥٠ ، ١٥٠ ، ١٦٤.

(١٢) اللسان ، ابن منظور (٧١١هـ) ، بيروت ، د.ت ، ١٦٨/١ (سقى).

(١٣) القاموس المحيط ، الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)،تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي،، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان،ط٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ، ٧٥٥/٢ (شمع)

(١٤) ينظر اللسان ٣٨٧/٢ (شوا).

(١٥) ينظر القاموس ٣٣/٢ (خرج).

(١٦) المصدر نفسه ١١٤/١ (أثل).

(١٧) ينظر اللسان ١٣/٣ (قبل) .

(١٨) المصدر نفسه ٦٧/٣ (قرع).

(١٩)ينظر القاموس ٣١٧/٣ (عمى).

(٢٠) ينظر المصدر نفسه ١٠٤/١

(٢١) ينظر المصدر نفسه ١١٩/١

(٢٢) المصدر نفسه ١٣٣/١ (أرض)

(٢٣) المصدر نفسه ٤٠٦/٢ (روح).

(٢٤) ينظر اللسان ١١/٢ (زتت).

(٢٥) الألفاظ الكيميائية والدوائية عند جابر بن حيان الكوفي (ت ٢٠٠هـ)، ٥٠ ، ١٥٠ ، ١٦٤.

(٢٦) المصدر نفسه.

(٢٧) ينظر الفارابي في حدودِه ورسومِه، الدُكتور : جعفر آل ياسين ، عالم الكُتُب بيروت–لبنان.٣٤

(٢٨) المصطلحات العلمية عند الحسن بن الهيثم (ت ٤٣٠هـ)، ١٠ ، ١٢٠ ، ١٤٣ .

(٢٩) أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة : د. أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣م ، ٤٢ ، وينظر : علم اللغة الاجتماعي، دهبرس، ترجمة : محمود عبد الغني عواد، وزارة الثقافة العراقية، ٢٦ .

(٣٠) ينظر : الفارابي في حدوده ورسومه، ٣٤ – ٣٧ .

(٣١) الخصائص، ابن جنى، تحقيق : محمد على النجار، القاهرة، ١٩٦٥م ، ٣٣/١ .

(٣٢) اللغة، جوزيف فندريس، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص، الإنجلو المصري، ٢٩٧ .

٣٣) ينظر : اللغة العربية وعلومها، عمر رضا كحالة، دمشق، ١٩٧١م ، ١٨ .

(٣٣) علم الدلالة، ٥١ ، ٦١ .

(٣٤) توحيد المصطلح العلمي في الأقطار العربية، د. يوسف عز الدين، مجلة المجمع العلمي العراقي .

(٣٥) ينظر : شفاء الغليل فيما ورد في كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين الخفاجي، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٢٥هـ .

(٣٦) ينظر : شفاء الغليل فيما ورد في كلام العرب من الدخيل ، والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، الدكتور عبد الصبور شاهين، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ٣١٣ وما بعدها ، وتوحيد المصطلح العلمي في الأقطار العربية، ٢٢٧ .

(٣٧) التعبير الاصطلاحي (دراسة في تأهيل المصطلح ومفهومه ومجالاته والدلالية وأنماط التركيبية)، د. كريم زكي حسام الدين، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م .

(٣٨) ينظر : اللغة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، جورج الكفوري، رابط القدماء في الكلية العلمانية، ٤٥ .

(٣٩) مشكلة تعليم اللغة العربية لغير العرب، د. علي الحديدي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١١٣ ، ١٤٣ وما بعدها .